التناصُّ القرآنيُّ في الرِّوَايَةِ العَربيَّة المُعاصِرَة

دراسة في الإنتاج الروائيّ لأشرف الخمايسيّ أنموذجًا

د. سرى سليم عبد الشهيد المعمار جامعة بابل / كلية الادارة والاقتصاد

Qura'nic Intertextuality in the Contemporary Arabic Novel

A study in the novelistic production of Ashraf Al-Khamaisi as a model

Dr. Sura Salim Abdul Shaheed Al-Mimar University of Babylon / College of Managment and Economics

المستخلص :

تتناول هذه الدراسة ظاهرة التناصّ بوصفها آلية مركزية في الرواية العربية المعاصرة، وهي الظاهرة التي تثري النص الأدبيّ بنسيج مقدس يقف في الخلفية وراء النص الروائيّ. وتسعى هذه الدراسة إلى تتبع ظاهرة التناص مع القرآن الكريم بخاصة في الرواية العربية المعاصرة بعامة، وفي الإنتاج الروائي للكاتب المصريّ "أشرف الخمايسي" بخاصة؛ لما للنص القرآني من أثر واضح في روايات أشرف الخمايسي.

الكلمات المفتاحية: التناصّ- القرآن- الرواية- الخمايسي

Abstract :

This study deals with the phenomenon of intertextuality as a central mechanism in the contemporary Arab novel, a phenomenon that enriches the literary text with a sacred fabric that stands in the background behind the novelistic text. This study seeks to trace the phenomenon of intertextuality with the Holy Qur'an in particular, in the contemporary Arabic novel in general, and in the novel production of the Egyptian writer "Ashraf Al-Khamaisi" in particular. Because the Qur'anic text has a clear impact on Ashraf Al-Khamaisi's novels

Key words: Intertextuality- Quran- Novel- Khamaisi

أولاً- مقدمة الدراسة:

يظلُّ القرآن الكريم معينًا لا ينضُب، يلتقط منه الإنسان كل المعاني الساميّة التي يرغبُ في التعبير عنها، حتى في أعلى المستويات اللغوية تعبيرًا- الأدب- يلجأ الأديب العربيّ المُعاصر إلى القرآن الكريم ليُعبّر من خلاله عن المعاني والدلالات التي يرغب في إيصالها إلى القارئ؛ لتحدث فيه الأثر المطلوب.

ويعد التناصّ بعامة من الآليات الفنية التي اعتنى بها النقاد في العصر الحديث؛ نظرًا لما تمثّله هذه الآلية من أهمية في شحن النص الأدبي بدلالات ومعانٍ أكثر ثراءً في العصر الحديث؛ إذ بدت آلية التناص ظاهرة من الظواهر البارزة في الأدب المعاصر بات الأدباء يوظفونها بما يخدم الرسالة المبتغاة من النص الأدبيّ.

وبمُطَالَعة بعض النماذج للأعمال الأدبية العربية المعاصرة في مجالي الشعر والرواية نلمح انتشارًا واسعًا لظاهرة التناص والتقاطع مع نصوص أخرى داخل الأعمال الأدبية، وبخاصة في مجال الرواية التي تبدو فيها الظاهرة أوضح؛ بسبب المساحة النصية الأوسع والحرية الأكبر المتاحة للروائي في نصه الإبداعيّ.

ويعد الروائي المصريّ "**أشرف الخمايسي**" من أبرز الروائيين العرب الذين يوظّفون التناص بعامة، والتناص القرآنيّ بخاصّة، ونسعى في هذه الدراسة إلى استقصاء آلية التناصّ القرآنيّ في روايات أشرف الخمايسي الخمس؛ وهي: "الصنم" (١٩٩٩م)، و"منافي الرب" (٢٠١٣م)، "انحراف حادّ" (٢٠١٤م)، "صوفيا هارون" (٢٠١٦م)، "ضارب الطبل" (٢٠١٧م).

ثانيًا: مشكلة الدراسة:

من أكثر التحديات التي واجهت الباحثة في اعداد هذه الدراسة هي قلة الدارسات والمراجع والكتب التي تناولت روايات الروائي "أشرف الخمايسي" بعامة، وكيف أبدع هذا الروائي في التناص القرآني بخاصة، ولهذا فقد اعتمدت الباحثة على كتب الروائي "أشرف الخمايسي" كمرجع أساسي لتبحث فيها عن جماليات التناص القرآني في رواياته.

ثالثًا– أهمية الدراسة:

يُعزى إلى هذه الدراسة أهمية كبيرة تتمثل بالتعرف على كيفية توظيف الروائي العربيّ المعاصر للنص القرآني، وآليات تحويله للنص القرآني في إبداعه الروائيّ إلى عنصر إثرائيّ لنسيج النص الإبداعي؛ الأمر الذي يعزّز من مكانة القرآن الكريم بوصفه نصًا إبداعيًا عظيمًا يمثل النموذج الأمثل للإبداع الإلهيّ.

رابعًا– أهداف الدراسة:

تهدُف الدراسة إلى الوصول إلى نتائج بخصوص النقاط الآتية:

١. إلقاء الضوء على مدى استعانة الروائيين العرب المعاصرين بالتناص القرآنيّ في إبداعاتهم الروائيّة.
٢. تحديد آليات التناص القرآني التي تتجلّى من الإبداع الروائي للروائيّ المصريّ "أشرف الخمايسي".

خامسًا– منهج الدراسة:

تستند هذه الدراسة إلى المنهج التحليليّ الذي يضع نظرية التناصّ التي وضعت أسسها الباحثة "جوليا كرستيفا"، خلفية معرفية له. ومن خلال هذه النظرية يقوم الباحث بتحليل آليات التناصّ القرآنيّ لدى أشرف الخمايسي من أجل الوقوف على جماليات التناص القرآني في رواياته المختلفة ومدلولها في الأدب العربي وأيضًا في القرآن الكريم.

سادسًا: الدراسات السابقة:

وقد قامت عدة دراسات في إطار البحث عن ظاهرة التناصّ القرآنيّ في الرواية العربية المعاصرة، في حين لم يتم استقصاء هذه الظاهرة في روايات "أشرف الخمايسي" تحديدًا؛ ومن بين هذه الدراسات ما يأتي:

١. دراسة "نعيم عمروي، خليل بروييني" بعنوان "التناص القرآني في رواية حكايات حارتنا لنجيب محفوظ" عام ١٤٣١هـ[١]، وقد هدفت الدراسة إلى الكشف ما وراء التناص القرآني من تلميحات وإشارات ورموز للوصول إلى المفاهيم الماورائية للتناص القرآني في رواية حكايات جارتنا لنجيب محفوظ، وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية: لنظرية التناص جذور في النقد الأدبي العربي القديم وهي قريبة المفهوم من الاقتباس والسرقة الأدبية وخاصة التضمين، كما توصل إلى أن التناص الداخلي يتجه إلى كشف ما ورائية النص المتناص فيه والتناص الخارجي همه تحكيم السبك وتجميل العبارة خاصة في التناص القرآني لأن القرآن أرقى أنواع الكلام كافة، وبالتالي فهدف التناص كشف التراث وهدف التناص القرآني إظهار المفاهيم الإسلامية في النص واتخاذ العبر وتحكيم وترقية الأسلوب الكتابي بأسلوب القرآن، ولقد استطاع نجيب محفوظ في التناص القرآني بنوعيه الداخلي والخارجي في هذه الرواية أن يبين بعض أفكاره السياسية والاعتقادية.

٢. دراسة شازاد كريم عثمان، لمياء ياسين حمزة، بعنوان "التناص القرآني في شعر غادة السمان"[٢]، وقد هدفت الدراسة إلى الوقوف على مواضع التناص القرآني في شعر غادة السمان، وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية: تشرب غادة بالنصوص القرآنية والذي تبين من خلال النصوص الشعرية الزاخرة بالتناصات القرآنية، وقامت بتوظيف النص القرآني بما يخدم المعنى الشعري ويقوي دلالته، كما استحضرت الشاعرة القصص والشخصيات القرآنية، فهذه القصص تحتوي على كثير من المفاهيم التي لو وظفت في الشعر لأدت من المعاني ما لم تستطع الجمل الكثيرة تأديته وبذلك يزداد الثقل الفني للشعر.

٣. دراسة "حبي نور المقدمة" بعنوان "التناص القرآني في قصة أرني الله لتوفيق الحكيم" عام ٢٠٢٠م[٣]، وقد هدفت الدراسة إلى معرفة أشكال ووظائف التناص القرآني في قصة "آرني الله" لتوفيق الحكيم، وقد خلصت الدراسة إلى أن هناك تسعة نصوص من التناص القرآني على الشكل المباشر، وعشرة نصوص من التناص القرآني على الشكل غير المباشر.

٤. دراسة "قاسم حسن القفة" بعنوان "التناص القرآني في الرواية العربية- رواية ذاكرة الجسد- أحلام مستغانمي أنموذجًا"[٤]، وقد هدفت الدراسة إلى تناول التناص القرآني في الرواية العربية بعامة، وتطبيق التناص القرآني في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي بخاصة، وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية: إن التناص في ذاكرة الجسد كان متنوعًا، فمنه التناص الديني، والتناص مع بعض نصوص الرواية العربية، وتوظيف الموروث

---

[١] نعيم عمروي، خليل بروييني، التناص القرآني في رواية حكايات حارتنا لنجيب محفوظ، آفاق الحضارة السلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، س ١٣، ع ٢، ١٤٣١هـ.

[٢] شازاد كريم عثمان، لمياء ياسين حمزة، التناص القرآني في شعر غادة السمان، جامعة رابرين- كلية التربية الأساسية، العراق، د.س.

[٣] حبي نور المقدمة، التناص القرآني في القصة "أرني الله" لتوفيق الحكيم، بحث تكميلي لاستيفاء الشروط لنيل الشهادة الجامعية الأولى في اللغة العربية وأدبها، جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية سورابايا- اندونيسيا، ٢٠٢٠م.

[٤] قاسم حسن القفة، التناص القرآني في الرواية العربية – رواية ذاكرة الجسد- أحلام مستغانمي أنموذجًا، بحث منشور بجامعة الزاوية- ليبيا، د.س.

الشعبي خدمة للتناص، والتناص التفاعلي مع اللوحة الفنية، والتناص التاريخي عبر ذكر بعض الوقائع والأحداث العربية والغربية، وتناص الشخصيات والأعلام الأدبية والتاريخية.

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في أن هناك الكثير من الباحثين والدارسين الذين قد تناولوا التناص القرآني بالدراسة، وتطبيقاتها الموجودة في الكثير من الروايات الحديثة كما اتضح من الدراسات السابقة، ولكن لم يتناول الدارسين روايات الروائي "أشرف الخمايسي" بالبحث والدراسة الكافية، ولهذا فقد واجه الباحثة مشكلة في ندرة المراجع والكتب التي قد تناولت التناص القرآني في روايات هذا الروائي.

سابعًا– أقسام الدراسة:

تنهض الدراسة على النقاط البحثية الآتية:

أولًا– التمهيد .

ثانيًا– التناصّ القرآنيّ في الرواية العربية المعاصرة: وهنا نستعرض التناصّ القرآنيّ ومظاهره في الرواية العربية المعاصرة عن طريق الجهود السابقة للباحثين الذين استقصوا هذه الظاهرة في نماذج روائية سابقة، ونبتغي من خلال هذا الجزء معرفة موقع أشرف الخمايسي من سائر الروائيين العرب في توظيف التناصّ القرآنيّ.

ثالثًا– نبذة عن الروائيّ "أشرف الخمايسي" وإنتاجه الأدبيّ: في هذا الجزء نستعرض موجزًا سريعًا عن سيرة الروائيّ أشرف الخمايسيّ ومسيرته الإبداعية حتى يومنا هذا.

رابعًا– آليات التناصّ القرآنيّ في روايات "أشرف الخمايسيّ": وفي هذه النقطة البحثية نتطرق بصورة تفصيلية إلى آليات التناص القرآنيّ في روايات أشرف الخمايسي لم يسبق ان تم ذكر الروايات او الاشارة اليها .

أولًا- التمهيد

لغويًا التناصّ صيغة صرفية جاءت على وزن "تفاعل" بما تحمله هذه الصيغة الاشتقاقية من معانٍ تتعلق بالمشاركة والتداخل؛ أي تداخل نص في نص آخر سابق عليه، حتى يصير أمامنا نصين: الأول نص سابق، والآخر نص لاحق، وتنشأ فيما بينهما علاقة خاصة قد يصير من بعدها الفصل بينهما أمرًا مستحيلًا[٥].

والتناصّ[٦] يقابل مصطلح (Intertextuality) باللغة الإنجليزية، و(Intertextualité) باللغة الفرنسية في النقد الغربيّ، وهناك مصطلحات أخرى استخدمتها الدراسات النقدية العربية مقابلة للمصطلح الأجنبيّ وهي المصطلحات: (التناصيّة، التداخل النصيّ، التعالُق النصيّ، النص المتداخل، النص الغائب، التفاعل النصيّ)[٧]، وغيرها من المصطلحات، ولكن يعد مصطلح التناصّ أشهر هذه المصطلحات.

وقد كان بروز مفهوم التناص في الدراسات النقدية الحديثة بمثابة ردة فعل ضد المفاهيم التي أنتجتها البنيوية، التي شدّدت على فكرة انغلاق النص على نفسه بذريعة اكتفاء النص بذاته، وأنه قائمٌ بنفسه، فجاءت الدراسات التي تنتمي إلى ما بعد البنيوية ومنها التفكيكية التي ادعت بأن النص بنية من الفجوات والشروخ، ومنها نظرية التناصّ التي فتحت النص على غيره من النصوص السابقة.

ومما تجدر بنا الاشارة اليه هنا ان التناص اتخذ اشكالا مختلفة لم يتفق النقاد حول وضع تقسيم واضح لمصطلح التناص، ومن هذه التقسيمات : التناص الشعوري [٨] ، التناص المباشر[٩] وغير المباشر[١٠] و التناص الداخلي [١١] و التناص

---

(٥) عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه: دراسة في سلطة النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني الكويتي للفنون والآداب- الكويت، ع ٢٩٨، ٢٠٠٣م، ص ٢٠١

(٦) وللتوسع في الاطلاع حول مفهوم التناص واراء النقاد في الدرس النقدي العربي والغربي ينظر : جوليا كرستيفيا ، علم النص ، ترجمة : فؤاد زاهي ، دار توبقال – الدار البيضاء ، ١٩٩١ م ، ص ٧٩ ، عبد القادر بقشي، التناصّ في الخطاب النقديّ والبلاغيّ: دراسة نظرية وتطبيقية، دار أفريقيا الشرق للنشر والتوزيع- الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٢٥ ، عبد القادر بقشي، التناصّ في الخطاب النقديّ والبلاغيّ: دراسة نظرية وتطبيقية، دار أفريقيا الشرق للنشر والتوزيع- الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٢٥ ، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، د.ن، ط٣، ١٩٦٣م، ص ٩١ ، عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ج٣، دار الجيل- بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص ٣١١- ٣١٢ ، ابن المعتز، طبقات الشعراء ، تح : صلاح الدين الهواري ، دار الهلال – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢ م ، ص ٢٥٩ ، ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عبد العزيز ناصر المانع، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط١، د. س، ص ١٢٣، ١٢٧.

(٧) عز الدين المناصرة، التناصّ والتلاصّ: نحو منهج عنكبوتي تفاعليّ، إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة، ٢٠١١م، ص ٦٤

(٨) عوض الغباري، دراسات في أدب مصر الإسلامية، دار الثقافة العربية- القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٧٨.

(٩) عبد الفتاح داود كاك، التناصّ: دراسة نقدية في التأصيل لنشأة المصطلح ومقاربته ببعض القضايا النقدية القديمة "دراسة وصفية تحليلية، (د.ن)، ٢٠١٥م، ص ٢٠.

(١٠) عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب- القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٧٩- ٨٠.

(١١) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري واستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء، ط٣، ١٩٩٢م، ص ١٢٤- ١٢٥.

المضموني [١٢] ويمكن أن يصنّف التناصّ وفقًا للنصوص المصدر التي يستدعيها النص الحالي، ومن هنا نجد التناص التاريخي والتناص الأسطوري، والتناص الديني (الذي يندرج تحته التناص القرآني الذي يستدعي النص القرآنيّ). وهذا التصنيف لا شك يستند إلى التصنيف الخاص بجوليا كرستيفا رائدة النظرية في الأساس.

ثانيًا– التناصّ القرآنيّ في الرواية العربية المعاصرة

وقد شاعت ظاهرة التناص مع القرآن الكريم في الرواية العربية بصورة عامة؛ نظرًا لأهمية النص القرآني بوصفه نصًا إبداعيًا مقدسًا يثري النصوص الأدبية، فالقرآن الكريم هو النص النثري المكتمل والمعجز في الوقت نفسه، ثم تلاه حديث النبي صلى الله عليه وسلم وما أُثِرَ عن الصحابة، فقد ظل وما تلاه مُلهمًا للشعراء والأدباء يستخدمون لغته وتشبيهاته وأساليبه وينهلون من قصصه ومعانيه الحية الباقية منذ الرسالة الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ فالتأثر بالقرآن والنص الديني عمومًا أمر لا يختلف فيه اثنان؛ لأن التجربة الشعرية بعد الإسلام أثبتت امتصاص الشعراء والناثرين لمعاني القرآن الكريم وقصصه ولغته، وهي مسألة حظيت باهتمام القدماء والمحدثين، غير أنّ الأدباء اختلفوا في مسألة استلهام النص الديني؛ فمنهم من لجأ إلى الاقتباس المباشر، ومنهم من راوغ وامتصّ معاني القرآن الكريم ووظّفه في نصوصه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى اختلفوا في تشكيل الدلالات من خلال استيحاء النص الديني؛ فمنهم من أخذ المعنى كما هو عليه، ومنهم من قلب دلالة المعنى وطرح المفهوم الديني مستخدمًا مفهومًا آخر مختلفًا. والأديب بشكل عام والروائي على وجه الخصوص يتوجه إلى النص الديني مستثمرًا له في الكشف والتعرية؛ لمعرفته بأثر النص الديني على المتلقي؛ لأنه يعلم أن المتلقي العربي المسلم يستأنس بهذا النص، وأن المُبدع يستخدم هذا النص وسيلةً للوصول إلى المتلقي[١٣].

والتناص القرآنيّ يظهر من التدقيق في العمل الأدبي وإظهار هذا التراث الإسلاميّ؛ حيث يستخدم الأديب التناص القرآني مستفيدًا من جمال آياته وصياغته في عمله الأدبي واتخاذ العبرة من القرآن والاستشهاد به ولو بكلمة واحدة يعطي النص الأدبي رونقًا وبهاء متزايدين، الكلمة وحدها لا تشير إلى شيء؛ وإنما يستخدمها الأديب بأسلوب مثيل للقرآن الكريم وذاك شرط أن يكون ممهدًا لهذا الاستخدام، فالتناص القرآني يعطي ثقلًا أدبيًا للعمل الأدبي، ويستخدم التناص القرآنيّ بشكليه الداخليّ والخارجي في الأعمال الأدبية والغرض منه– علاوة على تجميل الأسلوب القرآني واتخاذ العبر– بيان المقاصد الدينية والاعتقادية والسياسية[١٤].

([١٢]) عبد الفتاح داود كاك، التناصّ: دراسة نقدية في التأصيل لنشأة المصطلح ومقاربته ببعض القضايا النقدية القديمة، مرجع سابق، ص ١٤

([١٣]) صفوان مقبل الشواورة، ظاهرة التناصّ في روايات مؤنس الرزاز، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م، ص ١٢

([١٤]) خليل برويني ونعيم عموري، التناصّ القرآنيّ في رواية حكايات حارتنا لنجيب محفوظ، آفاق الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٥٣

ويعد الأديب الأردنيّ: "مؤنس الرزاز"[١٥] من أبرز الأدباء العرب الذين لجأوا إلى النص القرآني في رواياتهم لينهلوا منه مضامينه وأشكاله، فقد وظّف الرزاز القرآن الكريم في رواياته على مساحات واسعة، شملت جميع ما أنتج من أعمال أدبية، حيث كان الرزاز في رواياته مولعًا بالقصص القرآني والمفردة القرآنية لما لها من قوة قادرة على إضاءة الشخصية وتحليل أفكارها وبلورة رؤاها؛ فكثيرًا ما قام بتوظيف هذه القصص على أشكالها المختلفة في رواياته، ولعلّ من أبرز هذه القصص قصة أهل الكهف التي أخذت من "متاهة الأعراب في ناطحات السراب" مساحة واسعة، حتى كادت أن تكون النواة التي بُنيت عليها الرواية؛ إذ إنَّ هذه القصة وما شابهها من قصص دينيّ كقصة عزيز وحماره الذي مكث في الكهف مائة عام حفلت بها الوحدات السردية الكبرى. ورأى الرزاز في هذا الإطار مادةً يجعلها تتناصّ مع معظم رواياته ولا سيما روايته السابقة الذكر؛ إذ ترتبط مع بعضها ارتباطًا فكريًا، وثمة خيط زمنيّ بين هذه الثلاثية هو الفجوة الزمنية بين العوالم الخاصة بأفراد هذه القصص، وهذه الفجوة هي ما دفعت الرزاز إلى استحضار مثل هذه القصص وتوظيفها[١٦].

كما نجد أن الأديب المصري الكبير "**نجيب محفوظ**"[١٧] يعد من أبرز الروائيين الذين استعانوا بالنص القرآنيّ في رواياتهم؛ حيث نجد في روايته الشهيرة: "حكايات حارتنا" وفي كافة عناصرها تشبيه بعناصر القصص القرآنيّ والآيات القرآنية التي استخدمها تصب في بيان مقاصده الاعتقادية والسياسية، فجعل الرواية حكايات متعددة تحتوي على (٧٨) حكاية، وفي الرواية يطرح "نجيب محفوظ" آراءه الاعتقادية والسياسية؛ لأن القرآن الكريم مادة غنية في رواياته وجعله مرجعًا فكريًا لتداخله

---

(١٥) **مؤنس منيف الرزاز** (١٩٥١م- ٢٠٠٢م): روائي أردني ولد في مدينة السلط. وهو ابن السياسي والمناضل منيف الرزاز الذي عاش في الأردن فترة من حياته وشقيق رئيس وزراء الأردن عمر الرزاز. له عدد كبير من الروايات ونشرت أعماله الكاملة عام ٢٠٠٣ بعد وفاته. وتعد ثلاثيه الشهيرة "أحياء في البحر الميت (١٩٨٢م)"، و"اعترافات كاتم صوت (١٩٨٤م)، و"متاهة الأعراب في ناطحات السراب (١٩٨٦م)"، كانت سببًا في التفات عدد كبير من الروائيين والنقاد والباحثين العرب إلى ما كان ينجزه الكاتب الشاب، الذي لم يكن بلغ الثلاثين من العمر في ذلك الوقت. وله روايات أخرى مثل: "ليلة عسل" و"عصابة الوردة الدامية"، و"الشظايا والفسيفساء". وله العديد من الكتابات المنشورة في صحف عربية واسعة الانتشار. شغل منصب رئيس تحرير مجلة افكار الثقافية الصادرة عن وزارة الثقافة الأردنية حتى وفاته بتاريخ ٨ فبراير ٢٠٠٢م. انظر:
صفوان مقبل الشواورة، ظاهرة التناصّ في روايات مؤنس الرزاز، مرجع سابق، ص ١- ٣.

(١٦) صفوان مقبل الشواورة، ظاهرة التناصّ في روايات مؤنس الرزاز، مرجع سابق، ص ١٥.

(١٧) **نجيب محفوظ (١٩١١م- ٢٠٠٦م)**: روائي وكاتب مصري، يُعد أول أديب عربي حائز على جائزة نوبل في الأدب، وشرع محفوظ في الكتابة الأدبية منذ الثلاثينيات من القرن العشرين، واستمر في الكتابة حتى عام ٢٠٠٤م. وتدور أحداث جميع رواياته في مصر، وتظهر فيها سمة متكررة هي الحارة التي تعادل العالم. ومن أشهر أعماله: الثلاثية، وأولاد حارتنا، والتي مُنعت من النشر في مصر منذ صدورها وحتى وقتٍ قريب. بينما يُصنف أدب محفوظ باعتباره أدباً واقعياً، فإن مواضيعاً وجودية تظهر فيه. يُعد محفوظ أكثر أديب عربي نُقلت أعماله إلى السينما والتلفزيون. ومن بين أهم رواياته أيضًا: "عبث الأقدار" (١٩٣٩م)، و"رادوبيس" (١٩٤٣م)، و"كفاح طيبة" (١٩٤٤م)، "القاهرة الجديدة" (١٩٤٥م)، و"خان الخليلي" (١٩٤٦م)، و"زقاق المدق" (١٩٤٧م)، و"السراب" (١٩٤٨م)، و"حضرة المحترم" (١٩٧٥م)، و"ملحمة الحرافيش" (١٩٧٧م)، و"عصر الحب" (١٩٨٠م)، و"أفراح القبة" (١٩٨١)، وغيرها.

مع نصوصه على اعتبار أنه محور العلوم والمعارف ورمز للمثل والقدرة والعظة، فكان تناصه مع آيات القرآن الكريم أو ألفاظه أو قصصه أو أحداثه أو شخصياته أحد السبل التي جعلته يرتقي بكتاباته[١٨].

فعلى سبيل المثال؛ تتناصّ إحدى فقرات رواية "حكايات حارتنا" تناصًا داخليًا مع القرآن الكريم؛ حيث يقول فيها محفوظ:

"لا أنا ولا أنت، ليحيى سعد!

إي والله ليحيى الساحر العظيم.

ولكن الأموات يفوقون الحصر.

أحياء عند ربهم"[١٩].

ويُفهم من هذا النص التناص مع الآية القرآنية الكريمة: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (سورة آل عمران/ الآية ١٦٩)، ونص الرواية يتحدث عن الشهيد، وليس الشهيد كالميت العادي، والآية القرآنية تنفي عن الشهداء صفة الموت وتمنحهم حياةً أبدية موفورة الرزق جزاء ما بذلوه في سبيل الله، والقتيل من أجل حرية الوطن واستقلال الوطن المختل شهيد عند الغالبية العظمى، ولكن المصلحة أحيانًا تنفي عنهم صفة الشهادة في سبيل الله وتصنّفهم في خانة التهور المفضي إلى التهلكة، فقد جاء نص الرواية استشهادًا بالآية الشريفة والموضع موضع نضال وثورة للحرية ومن سقط في سبيل الحرية فهو شهيد[٢٠].

وفي روايات أخرى في الأدب السعوديّ نجد صدىً لظاهرة التناص مع القرآن الكريم، ففي روايات مثل: "الفردوس اليباب" لليلى الجهني، و"آدم.. يا سيدي" لأمل شطا، و"أنثى العنكبوت" لقماشة العليان، و"توبة وسلى" لمها الفيصل، و"وجهة البوصلة" لنورة الغامديّ، و"مزامير من ورق" لنداء أبو مرزوق[٢١].

كما تعد رواية "ذاكرة الجسد" للأديبة "أحلام مستغانمي" من بين أهم الروايات التي وظّفت القرآن الكريم في نصوصها من خلال التناص مع آياته الكريمة؛ فالتناص مع آيات قرآنية عند مستغانمي يكشف لنا عن التأثير القرآني في الرواية، والفائدة المرجوة من هذا التناص المباشر، وفي هذه الحالة يجب الإحاطة بالتراث الإسلامي الكامن في القرآن الكريم، حتى نتمكن من كشف ما ورائية التناص القرآني في الرواية.

وقد جاء في رواية ذاكرة الجسد: "نمت في تلك الليلة قلقًا، وربما لم أنم. كان صوت ذلك الطبيب يحضرني بفرنسيته المكسرة ليوقظني"ارسم". كنت أستعيده داخل بدلته البيضاء، يودّعني وهو يشدّ على يدي"ارسم". فتعبر قشعريرة غامضة جسدي وأنا أتذكر في غفوتي أول سورة للقرآن. يوم نزل جبرائيل عليه السلام على محمد لأول مرة فقال له: "اقرأ"؛ فسأله النبي مرتعدًا

---

(١٨) خليل برويني ونعيم عموري، التناصّ القرآنيّ في رواية حكايات حارتنا لنجيب محفوظ، مرجع سابق، ص ١٥٣

(١٩) نجيب محفوظ، حكايات حارتنا، دار الشروق للنشر– القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٣١

(٢٠) خليل برويني ونعيم عموري، التناصّ القرآنيّ في رواية حكايات حارتنا لنجيب محفوظ، مرجع سابق، ص ١٥٥

(٢١) حنان عبد الله سحيم الغامدي، التناص في الرواية العربية: الرواية السعودية النسائية المنتجة بين حربي الخليج أنموذجًا: دراسة تحليلية، ج٩٩، مجلة فكر وإبداع، القاهرة، مارس/ ٢٠١٦م، ص ٤٢

من الرهبة: "ماذا أقرأ؟"، فقال جبريل: "اقرأ باسم ربك الذي خلق"، وراح يقرأ عليه أول سورة للقرآن. وعندما انتهى عاد النبي إلى زوجته وجسده يرتعد من هول ما سمع. وما كاد يراها حتى صاح: "دثِّريني.. دَثِّريني...".

كنت ذلك المساء أشعر برجفة الحمى الباردة. وبرعشة ربما كان سببها توتري النفسي يومها، وقلقي بعد ذلك اللقاء الذي كنت أعرف أنه آخر لقاء لي مع الطبيب. وربما أيضا بسبب ذلك الغطاء الخفيف الذي كان غطائي الوحيد في أوج الشتاء القارس، والذي لم يمنحني مستأجري البخيل غيره.

وكدت أصرخ وأنا أتذكر فراش طفولتي. وتلك "البطانية" الصوفية التي كانت غطائي في مواسم البرد القسنطيني، كدت أصرخ في ليل غربتي: "دثريني قسنطينة.. دثريني..".

ولعل من أهم أهداف التناص القرآني كشف التراث الإسلامي الموجود في النصوص النثرية وإظهاره، ومن ثم لا يعد هذا التناص استرجاعًا للمخزون الثقافي فحسب، أو استعادة للذاكرة الثقافية، أو تداخلاً للنصوص في العمل الأدبي دون فلسفة أو هدف، وإنما هو عملية مقصودة لأهداف، وبهذا يمكن الإشارة إلى أهمية التناص بوصفه سياقاً أدبياً خلاقاً، تلغى فيه الحدود بين الماضي والحاضر في سبيل تجديد الأدب وتطويره، دون زعم لتجديد قائم في فراغ، ودون إبداع منبت عن السياق المحيط به، ودون إدعاء عبقرية فردية لأديب ما، إلاّ عبر تداخله مع نصوص أخرى مبدعة[٢٢].

ومن هنا نجد أن التناص مع القرآن الكريم، كان شائعًا في الرواية العربية منذ فترة بعيدة، كما تجلّى من خلال الروايات الخاصة بنجيب محفوظ، ومؤنس الرزاز، وليلى الجهني، وأمل شطا، وقماشة العليان، ومها الفيصل، ونورة الغامديّ، ونداء أبو مرزوق وغيرهم من الروائيين، حتى أننا لا نكاد نرى أي روائي عربيّ لم يقم بتوظيف النص القرآني الكريم في نصه الإبداعيّ.

ثالثًا– نبذة عن الروائيّ "أشرف الخمايسي" وإنتاجه الأدبيّ

ويُعدُّ الأديب والروائي "أشرف الخمايسي" واحدًا من أهم المبدعين العرب في مجال الرواية في الأدب العربي المعاصر، قاص وروائي مصري من مواليد مدينة الأقصر عام ١٩٦٧م. وعن نشأته في الأقصر يقول الخمايسي: «**وُلدت في الأقصر وعشت أغلب حياتي فيها، لكن في الصيف كنا نعود لجذورنا الأصلية في سوهاج وسط الريف، لم أتأثر بالأقصر ولم تؤثر فيَّ، كانت تمثل بالنسبة لي نقطة الألم واللاقيمة، كنت أرى القيمة في المتاحف والأحجار، لكن الإنسان لم تكن له قيمة. كان الإنسان بها مشوها يسعى وراء الأجنبي من أجل الأموال، كانت تمثل لي حالة تعب، بل، بالعكس، ولعي دائما بالريف والحقول والبيئة الجميلة ربما يكون ذلك الأثر في اللا وعي لدي، لكن أظن أنني لو كنت موجود في (ديزني لاند)، مدينة البهجة، كنتُ سأكتب عن الموت**»[٢٣].

---

(٢٢) قاسم حسن القفة، التناص القرآني في الرواية العربية رواية ذاكرة الجسد– (أحلام مستغانمي) أنموذجًا، مرجع سابق، ص ١٠.

(٢٣) داليا عاصم، الروائي المصري أشرف الخمايسي: أكتب لأنتصر على الموت: صاحب «الصنم» و«انحراف حاد».. وصلت أعماله للقائمة القصيرة لـ«البوكر» العربية، مقال بصحيفة الشرق الأوسط، بتاريخ (٦/ يناير/ ٢٠١٥م). انظر: https://aawsat.com/home/article/259271/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%A7%D8%A6%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B1%D9%8A-

وفاز الخمايسي بالجائزة الأولى في مسابقة (أخبار الأدب) للقصة القصيرة، على مستوى الوطن العربي، عن قصة "عجلات عربة الكارو الأربعة". وصلت روايتاه "منافي الرب" و"انحراف حاد" إلى القائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية، ورواية "انحراف حاد" إلى القائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد عام ٢٠١٥م.

وعن تشكُّل ذائقته الفنية، يقول: «**تتأثر إذا قرأ لكتابات آخرين، لذلك عليه أن يقرأ ما هو أكبر، ألا وهو العالم من حوله، فأنا أرى أن العالم جميل جدا، وإذا تم تركيبه بشكل أفضل فسيصبح (ماسخ الطعم)**».

صدرت له ثلاث مجموعات قصصية هي: الجبريلية (١٩٩٥م)، و"الفرس ليس حرًا" (٢٠١١م)، أهواك (٢٠١٥م)، ومجموعة قصصية للأطفال: السكاتة (٢٠١٣م)، وعدة روايات أخرى؛ وهي: "الصنم" (١٩٩٩م) و"منافي الرب" (٢٠١٣م)، و"انحراف حاد" (٢٠١٤م)، و"صوفيا هارون" (٢٠١٦م)، "ضارب الطبل" (٢٠١٧م)، و"سلسلة رحلات غير عادية" في أربعة أجزاء، بالإضافة إلى كتابين: "كي أكون إنسان أجمل: مشاهد من الحياة" (٢٠١٦م)، و"يوم جديد: رؤى في الحياة والكتب" (٢٠١٦م).

رابعًا– آليات التناصّ القرآنيّ في روايات "أشرف الخمايسيّ

أما فيما يتعلق بالإنتاج الروائي للروائي المصريّ "أشرف الخمايسي"، فقد شاع التناصّ القرآني في رواياته بصورة لافتة للنظر.

١) **التناص القرآنيّ غير المباشر:**

من أبرز آليات التناص القرآني التي يوظفها أشرف الخمايسي في رواياته آلية التناص غير المباشر مع القرآن الكريم، حيث نشعر بالنص القرآني في خلفية الفقرة الروائيَّة؛ فعلى سبيل المثال: في رواية "**انحراف حاد**"، يقول الخمايسي في وصف ضحكة فتاة ضمن شخصيات الرواية:

"**وإذا بالضحكة الغجريَّة تنطلق، تجلجل، لقد ضحكت "سوسن" ضحكة، وكانت ضحكة، ضحكة تحيي الميِّت، ثم تسطله، ثم تميته مرة أخرى، ضحكة جعلت الشمس تسخن، والهواء يتنسَّم الدفء، وجعلت الشيخ الأزهريّ، الجالس ما بين النافذة اليمنة والقسيس، يلوي رأسه لينظر بانزعاج ناحية البنت، ويزعق: أعوذ بالله.. أعوذ بالله**"[٢٤].

في الفقرة السابقة يوظّف الخمايسي النص القرآني في السياق الروائي فنيًا حيث يستخدم الوصف القرآني في سياق انبهار الراوي بضحكة خليعة لإحدى الفتيات، ونشعر بالنص القرآني في خلفية الفقرة؛ فيتردد في أذهان القارئ قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ (سورة البقرة/ الآية ٢٨).

وفي وصف رحمة الله الواسعة في الرواية نفسها، يقول الخمايسي:

%D8%A3%D8%B4%D8%B1%D9%81-
%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%85%D8%A7%D9%8A%D8%B3%D9%8A-
%D8%A3%D9%83%D8%AA%D8%A8-
%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AA%D8%B5%D8%B1-%D8%B9%D9%84%D9%89-
%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%AA

(٢٤) أشرف الخمايسي، رواية انحراف حاد، الدار المصرية اللبنانية– القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص ١٤.

"**وأخيرًا تمكن من دخول غرفة الضريح، وتذكر أول دمعة سالت من عينيه هنا، دمعة ملتهبة، دمعة محتاج مقهور. وتاهت عيناه في الخطوط الدوّارة بأعلى الضريح، خطوط مذهَّبة غنية بفيض من رحمات الله الذي يجبر خاطر المنكسرين، رأى النقوش المعمولة بعظمة كأنها منحوتة لتصير خريطة طريق إلى السماء الرحيمة، وسالت دموع باردة، دموع شاكرة، وشعر أنه يريد أن يرفع ذراعيه إلى آخرهما نحو الله، الذي رحم عذاباته، وعذابات زوجته، ب"زينب"، فأنزلها من بين ذراعيه إلى جواره، وحرص على أن يجعلها تقبض طرف قميصه بيدها الصغيرة، ونظر إلى زوجته، فوجد دموعها تغرقها، وقد سبحت بناظريها في سقف الضريح، ورفع ذراعيه يشكر، ونصب جسده على مشطي قدميه يشكر، ويلهج بالحمد لله والثناء عليه، بينما التدبير الإلهيّ كان على غير ما يُحب "رشيد" وزوجته أو يشتهيان**"[٢٥].

ففي الفقرة السابقة نجد التناص غير المباشر مع قوله تعالى: ﴿**وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾ (سورة الأعراف/ الآية ١٥٦)؛ ونلمح هذا التناص غير المباشر في قول الكاتب: "**خطوط مذهَّبة غنية بفيض من رحمات الله الذي يجبر خاطر المنكسرين**"، في وصف الخطوط المذهبة في اتساعها برحمة الله العظيمة.

ومن صور التناص غير المباشر عند الخمايسي استدعائه للنصوص القرآنية عبر الإشارة إلى مضمُون النص القرآني؛ ومن ذلك قوله في روايته "خروف وكلب" ما يلي:

"**صاح الشيخ أبيض الهِلّي في المستمعين: يا جماعة الخير؛ الحيوانات حولكم ليست حيوانات والسَّلام، ذي مخلوقات قال عنها ربنا في القرآن إنها أمم زينا، فيها ما يفهم، وفيها ما لا يفهم. شوفوا القرد وذكاءه، شوفوا الحمار وغباءه. وشوفوا الخرفان، نحن فلاحون ورعاة غن، أعني نعرف نفرق بين الخروف النبيه والخروف الغشيم. ما مقصود كلامي؟ أقول لكم مقصود الكلام**"[٢٦].

ففي الفقرة السابقة يحيلنا الكاتب إلى قوله تعالى: ﴿**وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ مَا فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ (سورة الْأَنْعَام/ الآية ٣٨)؛ التي تشير إلى أن الحيوانات مثل البشر كالأمم البشرية في سلوكياتها.

وقد يستعين الخمايسي بكلمة واحدة فتستدعي بصورة غير مباشرة النص القرآنيّ بكل ما يحمله من دلالات تعبيرية إعجازية، فيقول على سبيل المثال في رواية "الصنم":

"**"معاذ" هو الذي قال لنا إنه بهت عندما رأى ولدًا ينزل من القطار، ولدًا ثيابه مهلهلة، وشعره أكرت متشابك، وقدماه حافيتان، ولدًا بائسًا. لم يُبهَت "معاذ" لأوصاف الولد؛ وإنما بُهِتَ لرؤيته أحد ينزل إلى "المحطة" التي عمل فيها كل عُمره فلم ينزل إليها أحد، وقال لنا، أيضًا إنّ هذا البائس وقف، وجرت عيناه تمسحان الأفق، وعندما تجري العينان على الزروع، والأشجار، والنخيل، دون اهتمام، فإن صاحبهما، بالتأكيد، يكون ابن قرية**"[٢٧].

([٢٥]) المرجع نفسه، ص ٢٤– ٢٥.

([٢٦]) أشرف الخمايسي، رواية خروف وكلب، منشورات إيبيدي– القاهرة، ط١، ٢٠١٩م، ص ٢٦.

([٢٧]) أشرف الخمايسي، رواية الصنم، دار الربيع العربيّ للنشر والتوزيع– القاهرة، ط١، ٢٠١٥م، ص ١٢.

فاستخدام الكاتب للفعل "بُهِت" تستدعي على الفور الآية القرآنية الكريمة: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (سورة البقرة/ الآية ٢٥٨)؛ فالفعل "بُهِتَ" يدل على انقطاع الحُجَّة وعدم تمكُّنه من أن يقول أنا الآتي بالشمس من المشرق؛ لأن ذوي الألباب يكذبونه. ويستعمله الكاتب في نصه الإبداعي للدلالة على الاندهاش وعدم التمكن من تصديق ما يشاهده أمامه في القطار.

وفي رواية "خروف وكلب" وردت بعض النماذج للتناص غير المباشر؛ ومن أمثلته توظيف الروائي للنص القرآنيّ بقوله:

"**وفي الحين الذي أعجف الظُّلمُ البلاد، وأهزل الحيفُ العباد، اتّسعت كروش رجال الحكم والأجناد؛ ضاقت ألبابهم، وعضُلت أجسادهم، فضربوا الناس بالسلاح الميري، وأجبروهم على الرضا القسريّ، والخنوع لهم، والسكوت على بلاويهم. لكن مهما أُجبِرَ المظلومون على الخنوع والسُّكوت يبقى التذمُّر في قلوبهم حارقًا فوّارًا، لا بُدَّ له من أن ينقذف برَّاها، مثل الحمم تنقذف برّا الأرض. صنعة الله، ومن أحسن من الله صنعة؟ لا أحد إلا الأحد**"[٢٨].

ففي الفقرة السابقة يوظّف الكاتب قوله تعالى: ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**﴾ (سورة البقرة/ الآية ١٣٨)، وذلك في وصف قلوب المظلومين التي مهما بيّنت في الظاهر تماسكها وسكوتها ورضاها بالظلم وخنوعها له؛ فإنها في الباطن تغلي مثل الحمم؛ وهذه هي خلقة الله للناس وطبائعهم.

٢) **التناص القرآنيّ المباشر:**

من أبرز آليات التناص القرآني التي يوظّفها أشرف الخمايسي في رواياته آلية التناص المباشر؛ حيث يوظّف الخمايسي النصوص القرآنية من خلال اقتباسها بصورة مباشرة؛ فعلى سبيل المثال في رواية "انحراف حاد" الزاخرة بالوصف الروائي يوظّف الخمايسي الاقتباس القرآنيّ في سياق وصف الميكروباص المليئ بالركّاب، فيقول:

"**ما أجملها، هذه السيارة "الميكروباص" الأجرة، إنها بيضاء، يحيط أوسطها إطار فضي ضيق، ويدور حول أسفلها إطار برتقالي ناصع عريض، بينما أُضيف إلى جنوط عجلاتها ومرآتيها الجانبيتان صفائح "الاستانليس" البرَّاقة، وكُتِبَ على واجهتها أسفل الزُّجاج: "وزيّنّاها للناظرين" وعلى خلفيتها "حلوة صلاة النبي""**[٢٩].

في الفقرة السابقة يضع الخمايسي الاقتباس القرآنيّ في وصف الميكروباص وما هو مكتوب عليه من آية قرآنية، حيث يستعين بالآية الكريمة: ﴿**وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**﴾ (سورة الحجر/ الآية ١٦) التي كانت تصف ما في السماء من زينة من الكواكب الثواقب لمن تأملها، وكرر النظر فيها، حيث يرى فيها الإنسان من العجائب والآيات الباهرات، ما يحار نظره فيه، وتنتقل الدلالات والمعاني الواردة في وصف ما في السماء من زينة الكواكب إلى زينة الميكروباص، وهي نقلة فيها من المبالغة الساخرة التي تثري دلالات النص السرديّ بنبرة ساخرة تنتج عن وصف الميكروباص بصفات كانت في الأصل للكواكب والنجوم في السماء.

([٢٨]) أشرف الخمايسي، رواية خروف وكلب، مرجع سابق، ص ٧.

([٢٩]) أشرف الخمايسي، رواية خروف وكلب، مرجع سابق، ص ١٩.

إنَّ الغرض من الاقتباس القرآني السابق هو تجميل الدلالات والمعانى في النص السرديّ، فكأنه بذلك يكتسب صِدقية ما يقول، ثم لتنبيه المتلقي إلى ثقافة يعمد إليها الكاتب، حتى يتم قبول نصه الروائيّ؛ بل يُحبِّبه إلى جمال الصياغة عبر تعالق النص بالأصداء القرآنية.

ومن أبرز أمثلة التناصّ المباشر في أدب الخمايسي؛ ما ورد في روايته "خروف وكلب" في وصف إحدى شخصيات الرواية للقصّ والحكي وأهميته موظّفًا للنص القرآنيّ للتدليل على كلامه؛ فيقول:

"**طغى صوت الشيخ أبيض الهِلّي على صوت المحتجّ، يقول: تعذير خروف واعٍ، فاهم أنّ الحكي له دور، القصّ يا إخواننا سلاح، الكلمة الزينة كأنها رصاصة تطلع من الجبخانة تقتل الشّين، والكلمة الشّينة كأنها رصاصة تقتل الزّين. القرآن الكريم يا عرب فيه سورة اسمها القصص؛ وربنا سبحانه وتعالى بذات نفسه قال: "نحن نقصّ عليك أحسن القصص". تعذير كان ممكن يقول الكلام قولًا عاديًا، لكن حتى يُفهِّم تعسير الفهم الأكيد قال له الكلام حكايات وقصص**"[٣٠].

ففي النموذج السابق، النص القرآنيّ وسورة القصص والآية الكريمة جاءت بشكل مباشر للتدليل على أهمية القصّ والحكي في إيصال الدلالة والمعنى بالنسبة للخروف "تعذير" في الرواية، حيث كان هذا الخروف دائمًا ما يعبر في كلامه عن كل شيء بالقصّ والحكي. وهكذا نجد أن النص القرآنيّ يوظّف في روايات الخمايسي لتأكيد المعاني والدلالات التي تقصد إليها شخصيات الرواية.

الخاتمة:

وبناءً على ما سبق في هذه الدراسة، نستطيع الوصول إلى النتائج الآتية:

١. تعد ظاهرة التناص بعامة من أهم الظواهر التي انتشرت في الآونة الأخيرة في الفن الروائيّ، وترجع أهمية التناصّ إلى قدرته على إثراء النص الأدبي بخلفية ثقافية معرفية تعتمد على قدرة المتلقي وخبراته النصية المتراكمة، التي من خلالها يستطيع استنباط النص المرجع أو النص المتناص معه النص الأدبيّ.

٢. يحتوي التناصّ في طياته على أنواع مختلفة؛ منها: (التناص الداخليّ والخارجيّ، والتناصّ الشكليّ والمضمونيّ، والتناصّ المباشر وغير المباشر)، وربما يكون الفارق بين هذه الأنواع وتقسيماتها هو الاتفاق على المصطلح فقط؛ ولكن المضمون والدلالة واحدة تقريبًا.

٣. أشارت الدراسة إلى أهمية التناص القرآنيّ التي تظهر من خلال التدقيق في العمل الأدبي وإظهار هذا التراث الإسلاميّ العظيم؛ حيث يستعمل الأديب التناص القرآني مستفيدًا من روعة آياته وجمالها وصياغة النص القرآنيّ في العمل الأدبيّ، واتخاذ العبرة من القرآن؛ فالاستشهاد بالقرآن الكريم ولو بكلمة واحدة يعطي النص الأدبي رونقًا وبهاء متزايدين.

٤. بالبحث في تاريخ الرواية العربية في توظيف النص القرآنيّ أشارت الدراسة إلى شيوع ظاهرة التناص القرآنيّ في الرواية العربية المعاصرة، ونبّهت إلى أبرز الروايات والروائيين الذين استعانوا بالقرآن الكريم في نصهم الإبداعي؛ ومن هؤلاء الروائيين العرب: الأردنيّ "مؤنس الرزاز"، والمصريّ "نجيب محفوظ"، والسعوديون: "ليلى الجهني"، و"أمل شطا"، و"قماشة العليان"، و"مها الفيصل"، و"نورة الغامديّ"، و"نداء أبو مرزوق"، والكاتبة الكبيرة "أحلام

(٣٠) المرجع نفسه، ص ٧.

مستغانمي". كما لم تستفيض الدراسة في سرد جميع الروائيين الذين استعانوا بالقرآن الكريم في نصهم الإبداعيّ، فمن الصعب حصر هؤلاء؛ بسبب ضخامة حجم انتشار ظاهرة التناصّ القرآنيّ في فن الرواية العربية.

٥. من خلال دراسة السيرة الخاصة بالروائيّ "أشرف الخمايسي" نستطيع القول إنّ هذا الروائي يتمتع بمكانة طيبة في الأوساط الأدبية المصرية والعربية، وبخاصة بعد وصول إحدى رواياته إلى القائمة الطويلة للبوكر، التي تعد أكبر الجوائز الأدبية العربية في العصر الحالي.

٦. شاعت آلية التناصّ القرآنيّ في الإنتاج الروائيّ للكاتب "أشرف الخمايسي"، فمن خلال دراسة الإنتاج الروائي للكاتب كشفت الدراسة عن توظيفه للتناص المباشر وغير المباشر في الآن نفسه، ولا سيما في تقنيَّة الوصف الروائي داخل رواياته، فيمكنه أن يُسخِّر النص القرآنيّ في إبداعه الأدبيّ في شكل اقتباس مباشر يوضع في السياق السرديّ أو في شكل غير المباشر يستشفّه القارئ بثقافته الدينية القرآنية من قراءة النص ويصل من خلاله إلى النص القرآنيّ المشار إليه داخل النص الأدبيّ. ومن أبرز رواياته التي احتوت على التناص القرآني المباشر وغير المباشر: رواية "انحراف حادّ"، ورواية "الصنم" ورواية "خروف وكلب".

وتوصي الباحثة:

١. ضرورة الاهتمام بدراسة الجوانب الفنية والبلاغية لروايات "أشرف الخمايسي" لما بها من الكثير من جماليات وصور تستحق أن يكرس لها الباحثين المزيد من الدراسة.

٢. ضرورة الاهتمام بدراسة التناص القرآني في روايات "أشرف الخمايسي" واعتبار هذه الدراسة ركيزة أساسية في الدراسات اللاحقة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: الكتب

١. ابن المعتز، طبقات الشعراء، تح: صلاح الدين الهواري، دار الهلال– بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٢. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، د.ن، ط٣، ١٩٦٣م.

٣. ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عبد العزيز ناصر المانع، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط١، د. س.

٤. أشرف الخمايسي، رواية الصنم، دار الربيع العربيّ للنشر والتوزيع– القاهرة، ط١، ٢٠١٥م.

٥. أشرف الخمايسي، رواية انحراف حاد، الدار المصرية اللبنانية– القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

٦. أشرف الخمايسي، رواية خروف وكلب، منشورات إيبيدي– القاهرة، ط١، ٢٠١٩م.

٧. جوليا كرستيفا، علم النص، ترجمة: فؤاد زاهي، دار توبقال– الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م.

٨. عبد الفتاح داود كاك، التناصّ: دراسة نقدية في التأصيل لنشأة المصطلح ومقاربته ببعض القضايا النقدية القديمة "دراسة وصفية تحليلية، (د.ن)، ط١، ٢٠١٥م.

٩. عبد القادر بقشي، التناصّ في الخطاب النقديّ والبلاغيّ: دراسة نظرية وتطبيقية، دار أفريقيا الشرق للنشر والتوزيع– الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٧م.

١٠. عز الدين المناصرة، التناصّ والتلاصّ: نحو منهج عنكبوتي تفاعليّ، إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة– القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

١١. عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب– القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

١٢. عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ج٣، دار الجيل– بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١٣. عوض الغباري، دراسات في أدب مصر الإسلامية، دار الثقافة العربية– القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

١٤. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري واستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي– الدار البيضاء، ط٣، ١٩٩٢م.

ثانيًا– المقالات والمجلات العلمية

١. حنان عبد الله سحيم الغامدي، التناص في الرواية العربية: الرواية السعودية النسائية المنتجة بين حربي الخليج أنموذجًا: دراسة تحليلية، مجلة فكر وإبداع، ج ٩٩، القاهرة، مارس/ ٢٠١٦م.

٢. خليل برويني، نعيم عموري، التناصّ القرآنيّ في رواية حكايات حارتنا لنجيب محفوظ، آفاق الحضارة الإسلامية، السنة الثالثة عشرة، ع٢، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، خريف وشتاء ١٤٣١هـ.

٣. داليا عاصم، الروائي المصري أشرف الخمايسي: أكتب لأنتصر على الموت: صاحب «الصنم» و«انحراف حاد».. وصلت أعماله للقائمة القصيرة لـ«البوكر» العربية، مقال بصحيفة الشرق الأوسط، بتاريخ (٦/ يناير/ ٢٠١٥م). انظر:

https://aawsat.com/home/article/259271/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%A7%D8%A6%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B1%D9%8A-

%D8%A3%D8%B4%D8%B1%D9%81-
%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%85%D8%A7%D9%8A%D8%B3%D9%8A-
%D8%A3%D9%83%D8%AA%D8%A8-
%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AA%D8%B5%D8%B1-%D8%B9%D9%84%D9%89-
%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%AA

٤. شازاد كريم عثمان، لمياء ياسين حمزة، التناص القرآني في شعر غادة السمان، جامعة رابرين– كلية التربية الأساسية، العراق، د.س.

٥. صفوان مقبل الشواورة، ظاهرة التناصّ في روايات مؤنس الرزاز، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م.

٦. قاسم حسن القفة، التناص القرآني في الرواية العربية – رواية ذاكرة الجسد– أحلام مستغانمي أنموذجًا، بحث منشور بجامعة الزاوية– ليبيا، د.س.

ثالثًا– الرسائل العلمية:

١. حبي نور المقدمة، التناص القرآني في القصة "أرني الله" لتوفيق الحكيم، بحث تكميلي لاستيفاء الشروط لنيل الشهادة الجامعية الأولى في اللغة العربية وأدبها، جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية سورابايا– اندونيسيا، ٢٠٢٠م.

٢. صفوان مقبل الشواورة، ظاهرة التناصّ في روايات مؤنس الرزاز، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م.